الدِّيباجة

١. من المطالب المعتد بها شرعًا تعظيم شعائر الله، قال الله تعالى: (ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب)، ومن جملة شعائر الله العلم الوارد في الكتاب والسنة، ولا تُدرَك هذه المطالب المعظَّمة إلا بإمعان تعظيمها، واستعمال ما ينبغي شرعًا وعُرفًا فيها، ولما كان العلم واحدًا من تلك المطالب العظيمة المتوقفة في إدراكها وحِيازتها على تعظيمها كان مما يُأمر به طالب العلم أن يلزم تعظيمه، لأنّ حصول العلم لك على قدْر تعظيمك له.

٢. كَتَبَ مُصنِّفُ هذا الكتاب، كتابًا واسعًا اسمه "تعظيم العلم" ثم اختصر منه هذه الجملة التي وصفها بقوله: (خُلاصة اللفظ) والمراد بالخلاصة: نُقاية الشيء.

٣. حَمَلَ المصنِّف على تلخيص الكتاب الأصل:

إعداد جُملة من الكلام يسهُل حِفظُهَا، كما ذكر المصنف ذلك بقوله: (أُعِدَّتْ بالتقاطِها لمِقصد الحِفظ.

٤. اختُلِفَ في عربية (الأنموذج) وأقدم الكتب المصنفة بهذا الاسم هو كتاب "الأنموذج في النحو" للزمخشري، واستُدل بذلك على ترجيح فصاحته لإمامة الزمخشري في اللغة.

٥. الادّكار: أي الاتّعاظ والانتفاع به، وأصلها الاذدكار ثُم أُبدلت الذال دالًا وأُدغمت في الأخرى فقيل الادِّكار، والمقصود به الاتعاظ والانتفاع والاعتبار بما يُذكر.

٦. نصيب العبد من العلم مُرتهن به، فبقدر ما يكون في قلبك من تعظيم العلم وإجلاله تنال العلم.

٧. يُنال العلم بالعطيَّة الإلهية والمِنحة الربانية، إذ العلم محض فضل الله عز وجل وإذا سبرت الآي والأحاديث التي ورد فيها حَوز العلم ونيله وجدت ألفاظها ما يدل على أنه مِنَّة من الله سبحانه وتعالى، كقوله تعالى: (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا).

٨. آخر كتاب العلم من "سنن الدرامي" باب إعظام العلم، وهذه ترجمة جليلة دالة على علوِّ المعنى الذي أراد الدارمي أن يُنبه إليه.

٩. معاقد التعظيم: هي الأصول الجامعة، المحققة لعظمة العلم في القلب.

١٠. معاقد تعظيم العلم هي:

الأول: تطهير وعاء العلم.

الثاني: إخلاص النية فيه.

الثالث: جمع همة النفس عليه.

الرابع: صرف الهمة فيه إلى علم القرآن والسنة.

الخامس: سلوك الجادة الموصلة إليه.

السادس: رعاية فنونه في الأخذ، وتقديم الأهم في الأهم.

السابع: المبادرة إلى تحصيله، واغتنام سن الصبا والشباب.

الثامن: لزوم التأني في طلبه، وترك العجلة.

التاسع: الصبر في العلم تحمَّلًا وأداءً.

العاشر: ملازمة آداب العلم.

الحادي عشر: صيانة العلم عما يشين، مما يخالف المروءة ويخرمها.

الثاني عشر: انتخاب الصحبة الصالحة له.

الثالث عشر: بذل الجهد في تحفظ العلم، والمذاكرة به، والسؤال عنه.

الرابع عشر: إكرام أهل العلم وتوقيرهم.

الخامس عشر: رد مشكله إلى أهله.

السادس عشر: توقير مجالس العلم، وإجلال أوعيته.

السابع عشر: الذب عن العلم، والذود عن حياضه.

الثامن عشر: التحفظ في مسألة العالم.

التاسع عشر: شغف القلب بالعلم وغلبته عليه.

العشرون: حفظ الوقت في العلم.

المعقد الأول

تطهير وعاء العلم

١. لكل مطلوبٍ وعاء، ووعاء العلم القلب.

٢. بحسب طهارة القلب يدخله العلم، وإذا ازدادت طهارته ازدادت قابليته للعلم.

٣. الأمراض التي تعتري القلب نوعان: أحدهما مرض شُبهة والآخر مرض شهوة.

٤. فالطهارة التي تتعلق بالقلب ترجع إلى ما يتصل بهذين المرضين:

أحدهما: طهارته من نجاسة الشبهات.

والآخر: طهارته من نجاسة الشهوات.

٥. محل نظر الله من العبد موقعان:

أحدهما: قلبه. والآخر: عمله.

٦. قال أبو الفرج ابن الجوزي: (تصفية الأحوال على قدر تصفية الأعمال).

٧. قال مُطرِّف بن العلاء بن الشِخِّير: (من صَفَّى صُفِّي له، ومن كَدَّرَ كُدِّرَ عليه).

٨. قال سهل بن عبد الله رحمه الله: (حرام على قلب أن يدخله النور وفيه شيء مما يكره الله عز وجل). وشاهده في القرآن قوله تعالى: (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق) قال سُفيان بن عُيينة: (أحرمهم فهم القرآن)، وقال محمد بن يوسف الفريابي: (أمنعهم من تدبُّر أمري) أي: القرآن.

٩. قال أبو العباس ابن تيمية الحفيد في "العقيدة التدمرية": (من أذنب فندِمَ فتاب فقد أشبه أباه، ومن أشبه أباه فما ظلم) أي: وقعت مشابهة أبيه آدم.

١٠. المعصية من أسباب رفع العلم.

١١. استنبط أبو الفرج ابن رجب ذلك من وجه يدل على شُفوف نظره وكمال فقهه وصلاح حاله، فاستنبطه مما في "الصحيح" من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أُرِيْتُ ليلة القدر، فتلاحى رجلان فرُفعت) أي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أوتي علمها برؤيا منامية فأراد بأن يخبر بذلك فاختصم رجلان على وجه المجادلة والفجور بينهما فرُفِعَ العلم بها، فإذا كان هذا أثرها عند رجل لم يواقع ذنبًا فكيف يكون حالها عند رجل واقع ذنبًا.

١٢. إذا تعاهد الإنسان نفسه بإصلاح قلبه وطرد نجاسته التي تعتريه، أعانه الله على العلم ووفقه إلى أسبابه وهيَّأ له نيله بما لايكون في خلده ولا يجول في باله.

المعقد الثاني

إخلاص النية فيه

١. إخلاص الأعمال أساس قبولها، وسلم وصولها.

٢. المأمور في النيات أن يكون العبد مخلصا فيها لله.

٣. الإخلاص شرعًا: هو تصفية القلب من إرادة غير الله، وإلى هذا المعنى أشرتُ بقولي:

إخلاصنا لله صف القلب من   إرادة سواه فاحذر يا فطن

٤. الفرق بين الصدق والإخلاص:

الصدق: توحيد المراد.

الإخلاص: توحيد الإرادة.

ذكره أبو عبد الله ابن القيم رحمه الله تعالى.

٥. روى الخطيب في "الجامع" وابن عساكر في "أماليه" عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إنما يحفظ الرجل على قدر نيته).

٦. إذا كَمُلَت النية وصَلُحت فتح الله سبحانه وتعالى له من أبواب الحفظ والفهم ما لم يكن يحتسبه.

٧. لا ينبغي أن ينقطع العبد عن العلم، لأنه يرى من نفسه تأخرًا في حفظه أو تخلفًا في فهمه، لأن هذه القوى الظاهرة ليست مَرَدُّ حَوْزِ العلم، وإنما المراد الأعظم هو إخلاصك لله سبحانه وتعالى.

٨. من فِقْهِ العبادة أن يتعلم المرء كيفيات الإخلاص في أبواب الدين، فينبغي أن يتعلم كيفية الإخلاص في الطهارة للصلاة، وأن تتعلم كيفية الإخلاص في الصلاة لربك، وأن تتعلم كيفية الإخلاص في بر الوالدين، وأن تتعلم

كيفية الإخلاص في تجارتك، وتأسَّفَ ابن الحاج في كتاب "المدخل" على تفريط الفقهاء في تعليم الناس نياتهم في أعمالهم، ووَدَّ لو انتصب جملة منهم ليعلموا الناس النية في أعمالهم.

٩. كيفية الإخلاص في طلب العلم ترجع إلى أربعة أصول:

الأول: رفع الجهل عن نفسه.

الثاني: رفع الجهل عن الخلق.

الثالث: إحياء العلم، وحفظه من الضياع.

الرابع: العمل بالعلم.

وأشرتُ إلى هذه الأصول الأربعة بقولي:

ونية للعلم رفع الجهل عـــم ... عن نفسه فغيره من النسم

وبعده التحصين للعلوم من ... ضياعها وعمل به زُكِنْ

و (النسم): جمع نسمه، والمراد بها: الخلق.

و (زُكِنْ): بمعنى ثَبَت.

١٠. قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في باب الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله في مسائله: (وفيه التنبيه على الإخلاص) لأن كثيرًا من الناس لو دعا إلى الله فإنما يدعو إلى نفسه، ومن آثار ذلك غياب المعالم الشرعية، ومن صورها: أن تسمع تأسُّفًا وتحسرًا على ذهاب بعض بلاد المسلمين لكنك لا تسمع تحسرًا وتأسفًا على ذهاب دين المسلمين، بل صار المنتسبين إلى الشرع يؤطِّر تأصيلًا لتغيير بعض المقامات الشرعية وإظهار بدائل ينسبها إلى الشرع، فمثلًا الولاء والبراء لم يَعُدْ مطلوبًا كما كان مُقيَّدًا في دواوين أهل العلم من أهل السنة، وإنما

الولاء والبراء متعلقةُ الكافر المعادي المقاتل للمسلمين، وأما الكافر غير المعادي فإننا لا نُؤمر ببغضه عند هؤلاء القوم الذين قلبوا المِجَنّ، فجُعلَ دين اليوم غير دين الأمس، فالإسلام لا تغيّره الأيام، فالدين الذي مات عليه أبو القاسم صلى الله عليه وسلم هو الدين المطلوب المراد منا.

١١. تصحيح النية شرعًا: رَدُّ النية إلى المأمور به إذا عرض لها ما يُغيّرها أو يُفسِدُهَا.

١٢. العوارض التي تهجم على النية، نوعان:

أحدهما: عارض يُغيرها، بإخراجها من قصد القربة إلى الإباحة المجَرَّدَة. مثاله: (أن ينوي الإنسان قراءة في كتاب للإطلاع على الأحكام الشرعية فيه، فإذا غفل عن ذلك تغيرت نيته إلى اتلمتع بمفرداته بلاغةً وبيانًا، فإنه قد خرج من قصد القربة إلى قصد الإباحة المجردة).

والآخر: عارض يُفسدها، بإخراجها من قصد القربة إلى ما يُخالف ذلك من المحرمات، مثاله: (من قرأ ليستفيد علمه، ثم تحولت نيته إلى أن يظهر على أقرانه وأن يَبُزَّ به الخلق معرفة وإحاطة، فخرج من المأمور به شرعًا إلى شيء فاسد منهي عنه.

١٣. مقامات النية متعددة، ومن أفرادها:

١. مقام تصحيح النية.

٢. مقام إيجاد النية.

٣. مقام تجديد النية.

هذه ثلاث مقامات شهيرة تتعلق بالنية.

المعقد الثالث

جمع همة النفس عليه

١. كيفية جمع الهمة:

أولها: الحرص على ما ينفع: بأن تُقبل عليه وتعتني به.

ثانيها: الاستعانة بالله عز وجل في تحصيله: أي طلب العون من الله في تحصيله.

ثالثها: عدم العجز عن بلوغ البُغية منه.

وهؤلاء جمعت في قوله صلى الله عليه وسلم: (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز).

٢. قال أبو الفرج ابن الجوزي: (لا أجد شيئًا أنفع للطالب من إدمان النظر في سير السلف).

٣. رأيتُ الشيخ محمد رافع البوصيري رحمه الله – مُحدث الحبشة – رأيته وقد جاوز المائة وهو يجلس من الساعة الثامنة صباحًا إلى الساعة الثانية بعد الظهر يُعلّم الناس، ولم ينقطع عن التعليم إلا قبل موته بثلاثة أشهر ومات وهو ابن ثلاث سنوات بعد المائة، وقد بقي تدريس الحديث أكثر من سبعين سنة.

المعقد الرابع

صرف الهمة فيه إلى علم القرآن والسنة

١. كل علم نافع مرده إلى كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: (فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم) ومما يندرج في هذا الأمر استمساكك بطلب علم الكتاب والسنة، لأنه العلم الصحيح النافع، وباقي العلوم إما خادم لهما فيؤخذ منه ما تتحقق به الخدمة، أو أجنبي عنهما لا يضر الجهل به.

٢. قال أبو الفضل ابن حجر في "فتح الباري": (وباقي العلوم آلات لفهمهما وهي الضالة المطلوبة، وإما أجنبية عنهما وهي الضارة المغلوبة).

٣. قال القاضي عياض اليحصبي في كتاب "الإلماع":

العلم في أصلين لا يعدوهما إلا المضل عن الطريق اللاحب
علم الكتاب وعلم الاثار التي قد أُسندت عن تابع عن صاحب

للاحب: يعني الواضح.

٤. حقيقة العلم عبودية لله عز وجل، فمن عبد الله على كمال علمه على الكمال، ومن خَلَّطَ في هذه العبودية وقع النقص في كلامه وعلم.

المعقد الخامس

سلوك الجادة الموصلة إليه

١. طريق العلم وجادته مبنيّة على أصلين:

أحدهما: حفظ متن جامع للراجح.

والآخر: أخذهُ على مفيدٍ ناصح.

وقد بيّن جماعة من المتكلمين في هذه الحقيقة، منهم الزبيدي في "ألفية السند" إذ قال:

وما حوى الغاية في ألف سنة   شخصٌ فخذ من كل فنٍّ أحسنه

٢. المحفوظ المعوَّل عليه هو المتن الجامع للراجح، أي المعتمد عند أهل الفن. فلابد من حفظ، قال شيخ شيوخنا محمد بن مانع رحمه الله في "إرشاد الطلاب": (أجمع العقلاء أن العلم لا يُنال إلا بحفظ) انتهى كلامه بلفظه أو قريبًا منه.

٣. إياك وحفظ متن لم يتلقاه أهل العلم بالقبول، فمِن الغبن المستبين أن يترك أحدنا حفظ الألفية لابن مالك إلى حفظ ألفية السيوطي أو ألفية الأُجهوري أو غيرهما من الألفيات في علم العربية، لأن ألفية ابن مالك هي التي تلقّاها أهل العلم بالقبول.

٤. إذا عُرضت عليك جادة ما ممَّا يحفظ فاعرِضها على طريق من سبق، فإن كانت هي هي فخذ بها، وإن كانت هي هي وزيادة فخذ بها، وإن وجدتها على خلاف ذلك فإياك وإياها.

٥. أضرب لك مثلًا بيّنًا من الشطط وهو فَزَعُ الناس إلى حفظ "الصحيحين" فيما يُسمَّى وحقيقته مختصر الصحيحين على نهج ليس معتمدًا عند المحدثين، فإن هذه جادة إنما حدثت في القرن الخامس عشر، ولم تكن من قبل أبدًا.

ولم تزل وصية أهل العلم أن يحفظ المبتدئ في الحديث "الأربعين" ثم "العمدة" ثم "بلوغ المرام" ثم "رياض الصالحين" لأن هذه الكتب جمعت أصول الحديث النبوي.

٦. الأخذ على مفيد ناصح يكون بأن تفزع إلى شيخ تتفهّم عنه معانيَه، يتصف بوصفين:

أحدهما: الإفادة، وهي الأهلية في العلم. أي: أن يكون عارفًا بالعلم محيطًا بمسائله إما بالقوة وإما بالفعل. وأصل في ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تسمعون، ويُسمع منكم، ويُسمع ممن يَسمع منكم) فلابد من أخذه على شيخ يُلَقِّنَكَ العلم يتصف بالإفادة وهي الأهلية.

والآخر: النصيحة، وتجمع معنيين اثنين:

أحدهما: صلاحية الشيخ للاقتداء به. وليس المراد الكمال التام لأن الإنسان لا يخلو من وجوه النقص فهو مطبوع عليه، لكن من كثرت حسناته على سيئاته فقد ترشَّح لحُسن الحال، وهو العدل عند أهل العلم، ذكر أبو عبد الله الشافعي وأبو حاتم ابن حِبَّان في "صحيحه".

والآخر: معرفته بطرائق التعليم.

٧. الهدي: اسم للطريقة التي يكون عليها العبد، وهذه الطريقة المسمَّاة بالهدي تشمل شيئين:

أحدهما: دَلُّهُ، والمراد به: الهدْي المتعلق بصورته الظاهرة.

والآخر: سَمْتُهُ، والمراد به: الهدْي المتعلق بأفعاله.

المعقد السادس

رعاية فنونه في الأخذ، وتقديم الأهم فالمهم

١. قال ابن الجوزي: (جمع العلم ممدوح) أي: ضم أطراف العلوم والتأليف بينها في النفس ممدوح.

٢. قال ابن الوردي:

من كل فن خذ ولا تجهل به　　　فالحر مطلع على الأسرار

٣. رعاية فنون العلم تنفع باعتماد أصلين:

أحدهما: تقديم الأهم فالمهم، والمراد بالأهمية ما بيّنه المصنف بقوله: (مما يفتقر إليه المتعلم في القيام بوظائف العبودية).

والآخر: أن يكون قصده في أول طلبه تحصيل مختصر في كل فن.

٤. من طيّار شعر الشناقطة قول أحدهم:

وإن ترد تحصيل فن تممه　　　وعن سواه قبل الانتهاء مه

وفي ترادف العلوم المنع جا　　　إن توأمان استبقا لن يخرجا

المراد بالطيّار من الشعر: هو البيت الشائع الذي لا يعرف قائله، وإلى ذلك أشرتُ بقولي:

وشائع الأبيات إن لم يُعلم　　　قائلهُ الطيار بين الأمم

٥. الأصل أن يُقبل ملتمس العلم على فنّ واحد متدرجًا، فإذا استوفى مختصراته دخل إلى فن آخر.

المعقد السابع

المبادرة إلى تحصيله، واغتنام سن الصبا والشباب

١. قال الحسن البصري رحمه الله: (العلم في الصغر كالنقش في الحجر).

٢. لا يُتوهم أن الكبير لا يتعلم، بل هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا كبارًا.

٣. من علل تعسّر التعلم في الكبر، لكن لا يعني تعذرها:

أولها: كثرة الشواغل، فالولد والأهل لهم مطالب.

ثانيها: غلبة القواطع، وهي التي تمنع الإنسان من أخذ العلم.

ثالثها: تكاثر العلائق، وهي اتصالات العبد بنفسه وبغيره.

المعقد الثامن

لزوم التأنّي فيه وترك العجلة

١. كما يجد أحدنا ثِقَل شيء يرفعه في يده، فإنَّ القلب يجدُ ثِقلا فيما يُؤتاه من العلم، قال تعالى: ﴿إن سنلقي عليك قولًا ثقيلا﴾ أي القرآن، فوصفه بالثقل. وإذا كان هذا وصف القرآن الميسَّر كما قال تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ فما الظن بغيره من العلوم؟ فالعلوم ثقيلة وإن سهُل حفظها عَسُرَ ضبطُها، فالقرآن سَهْلٌ في أخذه، ثَقيلٌ في ضبطه، والمراد بالضبط: ضبط لفظه وضبط معناه، فيما يشمل العمل به أيضا ثقيل أيضًا.

٢. وقد وقع تنزيل القرآن رعايةً لهذا الأمر منجّمًا، أي: مفرّقًا مُوَزّعًا، باعتبار الحدوات والنوازل.

أصل النجم: الوقت المضروب، فإذا قيل مُنَجَّم أي شيء مجعول على أوقات مفرّقة مُعيّنة.

٣. قال تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة وكذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾ هذه الآية حجة في لزوم التأني في طلب العلم والتدرج فيه وترك العجلة، كما ذكره الخطيب البغدادي في "الفقيه والمتفقه" وكذلك الراغب الأصفهاني في مقدمة "جامع التفسير".

٤. قال ابن النحاس فيما ذكره السيوطي في "بغية الوعاء في تراجم النحاة":

اليوم شيء وغدًا مثله   من نخب العلم التي تلتقط
يُحصل المرء بها حكمة   وإنما السيل اجتماع النقط

٥. كيفية لزوم التأني ؟

بالبداءة بالمتون القصار المصنفة في فنون العلم حفظًا واستشراحًا.

٦. لا يُقبِل الطالب بنفسه على الخوض في مَهْمَهِ المطولات وهو بعدُ لم يترشَّح للدخول في غِمارها.

٧. من بدائع الحكم قول عبد الكريم الرفاعي – أحد شيوخ العلم بدمشق الشام في القرن الماضي-: "طعام الكبار سُمٌّ الصغار".

٨. كان الأكابر من العلماء لا ينقطعون عن تدريس المختصرات مهما بلغت رُتَبهم في العلم.

المعقد التاسع

الصبر في العلم تحمّلًا وأداءً

١. الأمور الجليلة لا تُدرك إلا بالصبر.

٢. أعظم شيء تتحمل به النفس طلب المعالي" تصبيرها عليه، ولهذا كان الصبر والمصابرة مأمورًا بهما لتحصيل أصل الإيمان تارة، ولتحصيل كماله تارة أخرى، قال تعالى: (يأيها الذين ءامنوا اصبروا وصابروا) وقال تعالى: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي يريدون وجهه) قال يحي ابن كثير في تفسير هذه الآية: هي مجالس الفقه، وقال أيضًا: (لا يُستطاع العلم براحة الجسم).

٣. صبر العلم نوعان:

أحدهما: صبر في تحمله وأخذه. فتحتاج إلى صبر في حفظه وصبر في فهمه وصبر في حضور مجالسه وصبر في رعاية حق الشيخ وصبر في معرفة حق الزميل المقارن.

والآخر: صبر في أدائه وبثه وتبليغه إلى أهله. فالجلوس للمتعلمين يحتاج إلى صبر، وإفهامهم يحتاج إلى صبر، واحتمال زلاتهم يحتاج إلى صبر.

فإذا كنت صبرت متعلما، فاعلم أنك تحتاج إلى أن تكون صابرًا مُعلمًا.

وفوق هذين النوعين، الصبر على الصبر فيهما، والثبات عليهما.

٤. مَن عَوّد نفسه على الصبر صبر وثبت، ومن لم يعتد ذلك فإنه سرعان ما ينقطع عن مطلوبه

لكلٍ إلى شأو العُلا وثباتُ ولكنْ عزيزٌ في الرجال ثباتُ

وقلتُ في آخر منظومة الهداية:

إن الثبات في الرجال عَزّ   ويغنمُ الرجال من العِزَّا

المعقد العاشر

ملازمة آداب العلم

١. الأدب من أعظم أسباب السعادة، وقِلة الأدب من أعظم أسباب الشقاوة.

٢. قال يوسف بن الحسين: (بالأدب تفهم العلم) يعني بسبب الأدب تفهم العلم، ومن وجوه معناه لأن المتأدب يُرى أهلًا للعلم فيُبذل له، وقليل الأدب يُضَيَّع عنده.

٣. قال ابن سيرين: (كانوا يتعلمون الهدي "أي:الأدب" كما يتعلمون العلم) بل إن طائفة منهم يُقدمون تعلمه على تعلم العلم.

٤. قال مالك بن أنس لفتىً من قريش: (يا ابن أخي تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم).

٥. الأخذ بالأدب وتعلمه من أعظم أبواب الديانة ومن المفاتيح الكبرى لنيل العلم، ومن الحرمان أن لا يتأدب طالب العلم وأن يترك تعلم الأدب.

٦. آكد الأدب أدب العلم، لأنه إذا حُرِمَ أدب العلم حُرِمَ العلم.

٧. قال الليث بن سعد: (ما هذا؟ أنتم إلى يسير من الأدب أحوج منكم إلى كثير من العلم).

المعقد الحادي عشر

صيانة العلم عما يشين مما يخالف المروءة ويخرمها

١. من لم يَصُن العلم لم يصُنه العلم.

٢. قال الشافعي: (ومن أخل بالمروءة وقع في القبائح واستخف بالعلم فتُفضي به الحال إلى زوال اسم العلم عنه).

٣. قال وهب بن منبه: (لا يكون البطال من الحكماء) أي الماجن المتباعد عن أخلاق أهل العلم.

٤. جماع المروءة فيما قاله ابن تيمية الجد: (استعمال ما يُجمّله ويزينه وتجنُب ما يُدنسه ويشينه).

٥. استنبط سفيان بن عيينة المروءة من القرآن في قوله تعالى: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) ففيها الأمر بملازمة المروءة وملازمة حسن الأدب ومكارم الأخلاق.

٦. خوارم المروءة هي مفسداتها.

٧. خوارم المروءة إذا جالت في ميدان مروءة العبد فإما أن تُضعفها وإما أن تُذهبها.

٨. كل ما باين الشرع وخالف العُرف اندرج في خوارم المروءة.

المعقد الثاني عشر

انتخاب الصحبة الصالحة له

١. لأن الإنسان مدني بالطبع، أي يفتقر إلى اتخاذ زملاء له يشاركونه مطلوباته، قال الله تعالى: (وجعلناكم شعوبًا وقبآئل لتعارفوا) فهذه الآية أصل المدنية في القرآن.

٢. الزمالة في العلم إن سلمت من الغوائل فإنها نافعة في الوصول إلى المقصود. الغوائل: يعني العوادي المفسدة لها.

٣. روى ابن بطة في كتاب "الإبانة الكبرى" عن الأصمعي أنه قال: ما رأيت بيتًا أشبه بالسنة من قول الزبير بن علي:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه　　　إن المقَارِنَ بالمقَارِنِ يقتدي

٤. قال الراغب الأصفهاني: (ليس إعداء الجليس لجليسه بمَقاله وفِعَاله فقط بل بالنظر إليه).

٥. وذكر أبو بكر المرّوذي: أن خمسة آلاف كانوا يحضرون مجلس أحمد لا يكتبون شيئًا، ينظرون إلى هديه ودله وسمته، فكانوا يسترشدون بالنظر وتنتقل أحوال الكمال منه رحمه الله تعالى إليهم.

٦. الإنسان إذا أدمن النظر إلى شيء سارت إليه خِلاله وخَصائله وطبائعه.

٧. عقد المعاشر يكون على واحد من هذه الأمور الثلاثة:

أولها: الفضيلة، وثانيها: المنفعة، وثالثها: اللذة.

فانتخب صديق الفضيلة زملا فإنك تُعرف به، لأن صديق المنفعة واللذة سرعان ما يذهب وتنفصل رابطة العشرة بينك وبينه إذا حصّلا مقصودها

أو التمساه فلم يجداه، أما من يعاشرك للفضيلة فإنه لا يزال مُحافظًا عليها ما بقيت هذه الفضيلة.

٨. قال سفيان بن عيينة: (إني لأحرم الرجل الحديث الغريب لأجل جليسه) أي: أمتنع أن أحدث أحدا أحبه حديثا غريبا يستفيده لأجل جليسه الذي يعاشره.

٩. ينبغي على العاقل أن يتحرَّز من مصاحبة أهل الوقاحة والدناءة والرذالة والمجون والبطالة. وأن ينتقي من الأخلاء ما يفرح بالنسبة إليهم في الدنيا والآخرة.

المعقد الثالث عشر

بذل الجهد في تحفظ العلم والمذاكرة به والسؤال عنه

١. قال ابن عثيمين رحمه الله فيما سمعته منه: (حفظنا قليلا وقرأنا كثيرا فانتفعنا بما حفظنا أكثر من انتفاعنا بما قرأنا) لأن العلم المحفوظ يبقى في القلب فيسهُل الوصول إليه والبناء عليه.

٢. لم يزل العلماء الأعلام يحضُّون على الحفظ ويأمرون به.

٣. بالمذاكرة تدوم حياة العلم في النفس.

قال المزّي رحمه الله:

فأدِم للعلم مذاكرةً   فدوام العلم مذاكرته

٤. قال ابن عبد البر في "التمهيد": (وإذا كان القرآن الميسر للذكر كالإبل المعقَّلة من تعاهدها أمسكها فكيف بسائر العلوم.

٥. ومن ظنَّ أنه يتعاهد كل ما تعلَّمه فإنه قد ظن غلطًا، وإنما المتعاهد هو أصول العلوم التي كان يُلِظُّ بها العلماء، فَأَلِظَّ بأصول العلوم حفظًا واستشراحًا وتعاهدًا يبقى العلم معك، لأن من بنى أصول العلوم في قلبه أمكنه أن يتكلم فيه وأن يُنشئ من أفكار المعاني ويستخرج ظنائِن العلوم ما لم يقرأه في كتاب لصحة الأصول التي بنى عليها.

٦. ومن لطائف الأخبار أن آيةً أشكل تفسيرها في كلام الماضين، فتكلم فيه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله بكلام ثم قال: إلا أنني لم أجد أحدًا ذكر هذا الكلام وهو الأظهر عندي، فراجع أحد نُجباء الطلبة كتاب (التحرير والتنوير) للطاهر ابن عاشور فوجد كلام الطهر حذو القذة بالقذة بكلام

ابن عثيمين، فأخبره بذلك فقال: إني لا أعرف هذا الكتاب، ثم سأله هل هو مطبوع أم لا، فقال: هو مطبوع، فالتَمس منه الشيخ أن يحضر نسخة له، فانظر إلى موافقته لظنائن العلم التي بذل فيها بعض أهل العلم كالطاهر ابن عاشور تحقيقًا، لأنه بنى على أصول صحيحة فإذا شيَّد الإنسان علمه على الأصول الصحيحة في الحفظ والفهم والتعاهد فإن علمه يتفجر ويبرز ويظهر ولو لم يقرأ أكثر الكتب التي بين أيدي الناس، فكم من قاريء يستكثر القراءة لكنه لا يُحسن فهم العلم ولا البناء على أصوله وتفريع فروعه.

٧. ومنفعة السؤال عن العلم عظيمة فبها تَفتتح خزائنه، فحُسن المسألأة نصف العلم، والسؤالات المصنفة كمسائل أحمد المروية عنه برهان جلي على عظيم منفعة السؤال.

٨. الحفظ والمذاكرة والسؤال، بمنزلة الغرس للشجر وسَقيه وتنميته بما يحفظ قوته ويدفع آفته، فالحفظ غَرس العلم، والمذاكرة سقيه،والسؤال عنه تميته.

المعقد الرابع عشر

إكرام أهل العلم وتوقيرهم

١. قال أبو العباس ابن تيمية: (المعلم والمؤدب والشيخ أبٌ للروح كما أن الوالد أبٌ للجسد) ذكره تلميذ ابن القيم رحمه الله تعالى.

٢. استنبط هذا المعنى من القرآن محمد بن علي الأُدفُوي فقال رحمه الله: (إذا تعلم الإنسان من العالم واستفاد منه الفوائد فهو له عبد) قال الله تعالى: (وإذ قال موسى لفتاه) وهو يوشع بن نون ولم يكن مملوكًا له وإنما كان مُتَلْمِذًا له، فجعله الله فتاه بذلك.

٣. نقل ابن جزم الإجماع في "مراتب الإجماع على توقير أهل العلم وإكرامهم.

٤. من الأدب اللازم للشيخ على المتعلم مما يدخل تحت هذا الأصل التواضع له والإقبال عليه وعدم الالتفات عنه ومُراعات أدب الحديث معه وإذا حدَّث عنه عظَّمه من غير غلو.

٥. الواجب إزاء زَلَّة العالم، ستة أمور:

الأول: التثبت في صدور الزلة منه.

الثاني: التثبت في كونها خطأ. ولا يتبين كون الشيء خطئًا إلا لمن رسخ علمه، فبيان كون الشيء خطئًا وزلة موكل إلى العلماء الراسخين فيُسألون عنها، ذكر هذا الشاطبي في "الموافقات" وأبو الفرج ابن رجب في "جامع العلوم والحكم".

الثالث: ترك إتباعه فيها.

الرابع: إلتماس العذر له بتأويل سائغ.

الخامس: بذل النصح له بلطف وسر لا بعنف وتشهير.

السادس: حفظ جنابه، فلا تُهدر كرامته بين المسلمين.

المعقد الخامس عشر

رد مشكله إلى أهله

١. المعَظِّم للعلم يُعوِّل على أربابه الأكابر فيه في حل مشكلاته، وأشار إلى هؤلاء الأكابر بقوله: ١. دهاقنته.٢. الجهابذة من أهله.

الدهاقنة: جمع دهقان (مثلث الدال) وهو قوي التصرف مع حِدَّة.

الجهابذة: جمع جِهبِذ وهو النقَّاد الخبير ببواطن الأمور.

٢. مُشكلات العلم تُردُّ إلى الموصوفين بالقدرة فيه مع تمام الخِبرة والإحاطة ببواطن الأمور، والخبرة لا تُستفاد إلا مع طول المدة، فينبغي للإنسان أن يَرُدَّ هذه المشكلات إليهم.

٣. إذا اجتمع العلماء في أمر مُشكل مُدلهمّ في قول فاعلم أنهم بعلم تكلموا وببصر نافذ سكتوا، فإن تكلموا في مشكل فتكلم بكلامهم وإن سكتوا فليَسعك ما وسعهم.

وهذا أمر شاق على النفوس لأن العبودية إنما يُراد منها إخراج الإنسان من هواه، ذكره الشاطبي في "الموافقات"، وأكثر هوى الناس فيما يقع من المشكلات أن يتكلموا فيها وإذا أردت أن تعرف صدق ذلك فانظر إلى الصفحات الحاسوبية التي تسمى اليوم بـ "التويتر" فكل شيء يقع ولو صغيرة، ستسمع فيه ألف رأي، لأن الناس يَجرون مع أهوائهم ولا يَجرون مع الشريعة إلا من وفَّقه الله لكمال العبودية.

٤. الناجون من نار الفتن السالمون من وَهَج المِحَن هم من فَزِعَ إلى العلماء وَلَزِمَ قولهم.

٥. سألتُ بعض عجائزنا عن الشيخ الألباني فعرفوه وهم لا يقرأون، لكن العالم الصادق يجعل الله ز وجل له ظهورًا ولو لم تُظهره أدوات الإعلام حتى تجد عجائز المسلمين في قعر دورهن معرفة بهم.

٦. إن اشتبه عليك شيء من قولهم أحسن الظن بهم فاطرح قولك وخذ بقولهم، فالتجربة والخبرة هم كانوا أحقّض بها وأهلها، وإذا اختلفت أقولهم لَزِمتَ قول جمهورهم وسوادهم، إيثارًا للسلامة، فالسلامة لا يعدلها شيء.

والسلامة هنا، أي: سلامة دينك، لا سلامة ظهرك، فسلامة دينك هي المطلب الأعظم الذي ينبغي أن تتمسك بما يوصلك إليه.

المعقد السادس عشر

توقير مجالس أهل العلم وإجلال أوعيته

١. مجالس العلماء كمجالس الأنبياء، فالعلم ميراث النبوة والمجلس الذي يُدرَّس فيه العلم ويُذكر هو مجلس يشابه مجالس النبوة لِاتصاله بميراثها.

٢. وينبغي على طالب العلم في مجلسه أن يجلس جِلسة الأدب التي تكون موافقة للأدب ويصغي إلى الشيخ ناظرًا إليه فلا يلتفت عنه من غير ضرورة.

٣. ولا يتكئ على الكتاب أو يضعه عند قدميه، وإذا كان يقرأ فيه على شيخ رفعه عن الأرض وحمله بيده، لأن هذا من تعظيمه فقمِينٌ إذا عظَّمه أن يصل علمه إلى قلبه.

المعقد السابع عشر

الذبُّ عن العلم والذود عن حِياضه

١. للعلم حرمة وافرة، فهو من شعائر الدين، وهذه الحرمة المعظمة توجب الانتصار له إذا تُعُرِّضَ لجنابه بما لا يصلح.

٢. ظهر هذا الانتصار عند أهل العلم في مظاهر، منها: الرد على المخالف، فمن استبانت مخالفته للشريعة رُدَّ عليه كان من كان حِمِية للدين ونصيحة للمسلمين.

قال أبو عبد الله أحمد ابن حنبل: (لم يزل الناس يَرُدَّ بعضهم على بعض) فليس الردُّ مُستَعظمًا مُستنكرًا، وإنما الذي يُستقبح إذا وقع المرء مع الجَور والظلم.

٣. إن احتاج المعلم إلى إخراج المتعلم من مجلسه زجرًا له فليفعل كما كان يفعله شعبة رحمه الله مع عفان بن مسلم في درسه.

٤. وقد يُزجر المتعلم بعدم الإقبال عليه وترك إجابته، فالسكوت عنه جواب، قاله الأعمش.

المعقد الثامن عشر

التحفظ في مسألة العلم

١. أي: طلب الصيانة وحِفظ النفس فيها، والحامل على ذلك الفِرار من مسائل الشغْب.

٢. التحفظ في مسألة العالم، يكون بإعمال أربعة أصول:

الأول: الفِكر في سؤاله لماذا يسأل؟ فيكون قصده من السؤال التفقه والتعلم لا التعنت والتهكم..

الثاني: التفطن إلى ما يسأل عنه، فلا تسأل عما لا نفع فيه، إما بالنظر إلى حالك لئلا يكون نافعًا لك أو بالنظر إلى المسألة نفسها، ومثله السؤال عما لم يقع، أو ما لا يُحدَّث به كل أحد وإنما يُخصُّ به قوم دون قوم.

الثالث: الإنتباه إلى صلاحية حال الشيخ للإجابة عن سؤاله، فلا يأله في حال تمنعه ككونه مهمومًا أو متفكرًا أو ماشيًا في طريق أو راكبًا سيارته، بل يَتَحَيَّن طيبَ نفسه.

الرابع: تيقظ السائل إلى كيفية سؤاله بإخراجه في صورة حسنة متأدبة، فيقدم الدعاء للشيخ ويُبجِّله في خطابه.

المعقد التاسع عشر

شغفُ القلب بالعلم وغلبته عليه

١. شغف القلب، أي: بلوغ محبته شغاف القلب، يعني باطن القلب، فصِدق الطلب له يوجب محبته وتعلقَ القلب به.

٢. تُنال لذة العلم، بثلاثة أمور:

الأول: بذل الوُسع والجَهد. يعني الطاقة والقدرة في طلب العلم.

الثاني: صدق الطلب. بأن يتوجه إليه توجهًا كاملا.

الثالث: صحة النية والإخلاص.

٣. النية (شرعًا): هي إرادة القلب العمل تقربًا إلى الله.

٤. الإخلاص (شرعًا): هو تصفية القلب من إرادة غير الله.

٥. فالإخلاص هو الصفة الشرعية المطلوبة للنية.

٦. لذة العلم فوق لذة السلطان والحكم التي تتطلع إليها نفوس كثيرة وتبذل لأجلها أموال وفيرة وتسفك دماء غزيرة.

٧. متى عُمِرَ القلب بلذة العلم، سقطت لذات العادات وذَهلت النفس عنها.

المعقد العشرون

حفظ الوقت في العلم

١. قال محمد بن عبد الباقي البزاز: (ما ضيَّعت ساعة من عمري في لهو أو لعب).

٢. وقال أبو الوفاء ابن عقيل: (إني لا يحل لي أن أُضيِّع ساعة من عمري).

٣. قال الحسن البصري: (أدركتُ أناسًا أشحَّ بوقته من أحدكم بدراهمه).

٤. قيل لعامر بن عبد قيس الكوفي: قِف بنا نُكلمك ساعة، فقال: (إن الشمس لا تقف) يعني أن الشمس لا تنتظر الوقت يمضي.

٥. قال الوزير الصالح ابن هُبيرة:

والوقت أنفسُ ما عُنيت بحفظه　وأراه أسهلَ ما عليكَ يَضيعُ

تمت ولله الحمد والمنَّة